مخاطر تهديدات التراث (العولمة، النزاعات، السرقة، الاهمال)

مخاطر التهديدات التي تواجه التراث الثقافي والطبيعي تشكل تحدياً عالمياً يهدد استمرارية الذاكرة الجماعية والهوية الثقافية للشعوب، حيث يتعرض التراث يومياً لعوامل متعددة تجمع بين الضغوط الاقتصادية والسياسية والبيئية والاجتماعية.

أولاً: العولمة كتهديد ثقافي وتجاري للتراث:

العولمة، بوصفها عملية اندماج اقتصادي وثقافي عابر للحدود، تحول التراث من مورد ثقافي محلي إلى سلعة استهلاكية عالمية، مما يؤدي إلى تآكل الأصالة وفقدان السياق الثقافي. تُعرّف العولمة الثقافية بأنها انتشار نماذج استهلاكية موحدة (مثل السلاسل الفندقية العالمية والمطاعم السريعة) التي تغمر المواقع التراثية، فتحوّل المدن التاريخية إلى "ديزني لاند ثقافي" يفقد طابعه المحلي لصالح الربح الاقتصادي.

في السياق الاجتماعي، تؤدي إلى "تجانس ثقافي" يُضعف الهويات المحلية، حيث يُفضَّل التراث "التصديري" (المواقع الشهيرة) على حساب التراث غير المادي أو المحلي غير المعروف دولياً.

- **آليات التهديد** :السياحة الجماهيرية تسبب تآكلًا مادياً (ازدحام، نفايات، تآكل الأرضيات)، وتجارياً (تحويل الحرف التقليدية إلى تذكارات رخيصة الإنتاج)، وثقافياً (فقدان الطقوس الأصيلة لصالح عروض سياحية مصطنعة).
- **أمثلة عالمية** :في البندقية الإيطالية، أدى تدفق 30 مليون سائح سنوياً إلى ارتفاع الأسعار وهجرة السكان المحليين، مما يهدد النسيج الاجتماعي للمدينة التاريخية.
- **السياق الجزائري** :في القصبة بالجزائر العاصمة (تراث عالمي)، يهدد التوسع العمراني غير المنظم والضغط السياحي الناشئ الهوية المحلية، خاصة مع انتشار المشاريع التجارية العالمية في محيطها.

ثانيًا: النزاعات المسلحة والحروب كمدمِّر للتراث:

النزاعات المسلحة تمثل التهديد الأكثر تدميرًا، إذ تُدمِّر المواقع التراثية عمدًا كجزء من استراتيجية حرب نفسية أو اقتصادية، مما يمحو الذاكرة الجماعية للشعوب.

وفقًا لتقارير اليونسكو، دُمِّرت أكثر من 1000 موقع تراثي منذ عام 2011 بسبب الحروب، مع استخدام التراث كأداة سياسية لإعادة كتابة التاريخ.

يُصاحب ذلك تهريبًا منظّمًا للآثار لتمويل النزاعات، مما يجعل التراث ضحية مزدوجة: تدمير مادي وفقدان دائم.

- **آليات التهديد** :القصف العشوائي، الهجمات المتعمدة على الرموز الثقافية (مثل تماثيل بوذا في باميان)، نهب المتاحف، واستخدام المواقع كمستودعات عسكرية.
- **أمثلة عالمية** :في سوريا، دُمِّر 80% من تدمر (تراث عالمي)، وفي العراق نهب متحف بغداد عام 2003، مما أدى إلى فقدان 15 ألف قطعة أثرية.
- **السياق الجزائر** :خلال العشرية السوداء(1990)، تعرَّضت بعض المواقع للإهمال والتخريب غير المباشر، وفي الجنوب الصحراوي، تهدد النزاعات الإقليمية (مثل في مالي المجاورة) التراث الصحراوي المشترك مثل الطاسيلي نيجر.

ثالثًا: السرقة والتهريب المنظم للآثار:

السرقة ليست مجرّد جريمة فردية، بل شبكة إجرامية عالمية تُقدر قيمتها بمليارات الدولارات سنويًا، حيث يُباع التراث المسروق في أسواق سوداء أوروبية وآسيوية، مما يُفقد الدول قدرتها على السيطرة على تاريخها.

تشير الدراسات إلى أن 95% من الآثار المكتشفة في الشرق الأوسط تُهرَّب، مع دور كبير للجماعات المسلحة والوسطاء التجاريين.

اجتماعيًا، يُشجِّع الفقر واللامبالاة المحلية على السرقة، مما يُحوِّل السكان إلى شركاء غير مباشرين في تدمير تراثهم.

- **آليات التهديد** :حفر غير قانوني، تهريب عبر الحدود، غسيل الأموال عبر مزادات دولية، واستخدام التكنولوجيا (طائرات بدون طيار للاستطلاع).
- **أمثلة عالمية** :في مصر، سُرِقَت آلاف القطع من سقارة بعد ثورة 2011، وفي لبنان، يُباع التراث الفينيقي في مزادات سويسرية.
- **السياق الجزائري** :المناطق الصحراوية عرضة لتهريب الآثار الرومانية والبربرية نحو أوروبا عبر ليبيا وتونس، مع تحديات في مراقبة 7 مواقع تراث عالمي بسبب اتساع المساحات.

رابعًا: الإهمال والتدهور الطبيعي والإداري:

الإهمال هو التهديد الأكثر خطورة على المدى الطويل، إذ يأتي من غياب الصيانة والاهتمام، مما يؤدي إلى تدهور بطيء لا يُلاحَظ إلا بعد الخسارة الكاملة.

يُعزى ذلك إلى أولويات اقتصادية تُفضِّل الاستثمارات السريعة على الحفاظ طويل الأمد، مع نقص الوعي المجتمعي والإداري.

بيئيًا، يتفاقم التآكل بالتغيرات المناخية (فيضانات، جفاف، ارتفاع مستوى البحار)، مما يهدِّد 40% من مواقع التراث الساحلي عالميًا.

- **آليات التهديد** :نقص التمويل للصيانة، سوء الإدارة، التوسع العمراني غير المنظم، والتلوث، بالإضافة إلى الزلازل والفيضانات.
- **أمثلة عالمية** :في البترا الأردنية، أدى الإهمال إلى انهيار واجهات صخرية، وفي فينيسيا، يغرق القنال الكبير بسبب ارتفاع مستوى البحر.
- **السياق الجزائري** :تعاني تيمقاد وجميلة من تآكل طبيعي بسبب نقص الصيانة الدورية، وفي الجنوب، يهدِّد الجفاف الرسوم الصخرية في الطاسيلي، مع ضعف القدرات الإدارية المحلية.

خامسًا: الآفاق الاجتماعية والحلول المقترحة:

تواجه هذه التهديدات تحديًا اجتماعيًا: فقدان الهوية الجماعية، تفاقم التفاوتات الاقتصادية، وتعزيز النزاعات حول الموارد الثقافية.

الحلول تتطلب حوكمة متكاملة: تعزيز التشريعات الدولية، بناء قدرات محلية، تشجيع المشاركة المجتمعية، والاستثمار في التكنولوجيا (الرادار الأرضي، الذكاء الاصطناعي للمراقبة). في الجزائر، يُوصَى بتعزيز الشراكات مع اليونسكو، تطوير خطط إدارة للمواقع العالمية، وبرامج توعية تربط التراث بالتنمية المحلية.